مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد الثاني عشر- ذي القعدة ١٤٤٣هـ-يونيو٢٠٢٢م
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

# التّناص الأدبي في شعر عبد الصمد باكثير

**د. أحمد علي أحمد بايمين** (*)

**ملخص:**

التّناص مصطلح نقدي غربي حديث، ويُقصد به تداخل نصّ في نصّ، أو استحداث نصّ جديد من نصوص سابقة له. وقد وُلد هذا المصطلح على يد الناقدة الفرنسية جوليا كريستيفا عام 1969م، ومصادره مختلفة منها، الأدبي، الدّيني، التاريخي، وغيرها.

التّناص هو نتاج لثقافة تمتزج وتتفاعل في ذهن المبدع، يستدعي جزئياتها خلال شروعه في عملية الإبداع.

والشاعر عبد الصّمد باكثير من شعراء القرن العاشر الهجري (ت1024 هـ) من مواليد تريس سنة 955هـ بوادي حضرموت، لقّب بشاعر السّلطان عمر بن بدر الكثيري.

يمهد البحث –بإيجاز– بالحديث عن ظاهرة التّناص في الأدب العربي والغربي، ثم يليه الحديث عن وجود هذه الظاهرة في شعر عبد الصّمد باكثير، حيث وجد الباحث عددًا لا بأس به من الأبيات التي بينها وبين الشعراء السّابقين في العصرين الإسلامي والعبّاسي علاقة تناصية، فعمد الباحث إلى بيانها وتوضيحها. وقد اعتمدت هذه الدّراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

**الكلمات المفتاحية:** التّناص– التّناص الأدبي – عبد الصّمد باكثير.

## Literary Intertextuality in Abdul Samad Bakathir's Poetry

**Dr. Ahmad Ali Ahmad Bayumein**

**Abstract**

Intertextuality is a modern Western critical term. It refers to the overlapping of a text into a text, or the generation of a new text from previous texts. This term was

(*) أستاذ أدب العصور المتأخرة المساعد– قسم اللغة العربية– كلية التربية – المهرة– جامعة حضرموت – الجمهورية اليمنية.

first coined by the French critic Julia Kristeva in 1969 and its sources differ, including literary, religious, historical and others.

Intertextuality is the product of a culture that blends and interacts in the mind of the creative author, evoking its disjecta membra during the initiation of the creative process.

The poet Abdul Samad Bakathir is one of the poets of the 10th century AH (died in 1024 AH). He was born in Taris town in 955 AH in Wadi Hadhramout. He was also nicknamed as the poet Sultan Omar bin Badr Al-Kathiri.

The research briefly preludes the discussion about the phenomenon of intertextuality in Arab and Western literature. This is followed by a discussion of the existence of this phenomenon in Abdul Samad Bakathir's poetry, where the researcher discovered a considerable number of verses that have intertextual relationship with former poets of the Islamic and Abbasid eras, and deliberately manifested and elucidated them. This study adopted the analytical descriptive approach.

***Keywords***: Intertextuality; Literary intertextuality; Abdul Samad Bakathir

**مقدّمة:**

موضوع هذا البحث هو التناص في شعر عبد الصّمد بن عبد الله باكثير[1]، حيث وجد الباحث أثناء دراسته لشعر باكثير عددا غير يسير من الأبيات الشعرية في مواضيع مختلفة من مواضع ديوانه وفي قصائد شتى مجتمعة تارة ومتفرقة تارة أخرى؛ أبيات تتوافق في المعنى بينها وأبيات لشعراء من

**(1) عبد الصّمد بن عبد الله باكثير الكندي، وهو من مواليد مدينة تريس الواقعة إلى الغرب من سيئون بوادي حضرموت بالجمهورية اليمنية ولد سنة 955هـ، وكانت وفاته بمدينة الشِّحر سنة 1025هـ. ويعتبر من شعراء الإحياء في اليمن عامّة وفي حضرموت خاصّة ويأتي ذلك من خلال ما خلّفه من عطاءٍ أدبي مهم تمثل في ديوانه الذي ارتقى به إلى مستوى متميز بين شعراء عصره. ينظر: البنان المشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثير: 98.**

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الأقدمين في العصور الأدبية السابقة، وتقرب منها لغة وذوقا وإيقاعا، حتى يخيل للسامع أو القارئ أنه أمام قامة شعرية من قامات شعراء العصر الإسلامي أو العباسي.

وباكثير من شعراء القرن العاشر الهجري، بمعنى أنه يُنسب لعصر انحطاط الأدب عموما شعرا ونثرا. إذا ما أخذنا ذلك بعين الاعتبار الأدب والشعر في الأقطار العربية كمصر وسوريا والعراق، حيث عاش الأدب حالة من الرّكود في المعنى والقيمة قيمة الشعر ورسالته.

لكن كانت اليمن عموما وحضرموت خصوصا في منأى عن هذه التّهمة أو الوصمة التي وصم بها الأدب في تلك الحقبة، وهذا ما يبنه هذا البحث من خلال وضع القارئ حَكَمًا على ما سأعرض له من تقارب عجيب بين نصوص باكثير ونصوص الشّعراء السّابقين له.

وكان للبعد الجغرافي لوادي حضرموت – عن ما يمكن تسميته بدول الصراع الحضاري والثقافي في مصر والعراق والشام والمغرب العربي – أثر كبير في عدم تأثّر وادي حضرموت بما تأثّرت به الدول آنفة الذّكر، حيث إن تولي الأمور فيها لغير العرب وكثرة الاختلاط بين الأجناس البشرية جعل العربية تضعف والشعر أيضا ضعف لأجل ذلك؛ في الوقت الذي ظلّت حضرموت وبعض مناطق في اليمن بعيدة كلّ البعد عما حدث، فظلّت ألسن الشعراء فصيحة ولغتهم صحيحة يضاهون شعراء عصر القوة؛ البحتري وأبا نواس وأبا العتاهية وغيرهم.

تلك الإجادة والظروف آنفة الذكر جعلت من شعر عبد الصمد باكثير يرتقي لمصاف الشعر الإسلامي والعباسي؛ مما أوجد اشتراكا في الأخيلة والمعاني أو ما يمكن تسميته بمصطلح العصر الحاضر تناصا بين شعره وشعراء السابقين وهو ما عكف الباحث على تبيانه ليكون منطلقا للآخرين لسبر أغواره والتوسع فيه وإفراد رسالة له سواء أكانت للماجستير أو الدكتوراه.

**منهج الدّراسة:**

سيتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث سيعمد إلى تتبع واستقراء النصوص وفحصها في كل ما له علاقة تناصية في ديوان باكثير مع الشعر القديم وتحليل النصوص وبيانها.

**محاور البحث:**

**أولا: التّناص في الأدب العربي**

التناص: ظاهرة نقدية استخدمت كثيرا في النّصوص الأدبية، وانقسمت الآراء إزاءها، فيراها البعض فقرا من الكاتب إذ يلجأ إلى الأخذ من نصوص غيره، وآخرون يرون أنّه تجرؤ من الكاتب على نصّ غيره.

ومع كلّ ما سبق فقد اتسع مفهوم التناص وانتشر في الأدب الغربي، ثم تأثّر الأدب العربي لاحقا بهذه الظاهرة بفعل الاحتكاك الثقافي.

أما التّناص كمادة لغوية لم تُذكر في المعاجم العربية القديمة إلّا في مادة: "نصص" تناص القوم أي اجتمعوا، أو رفعك الشيء، ونصّ الحديث ينصّه نصّا[1].

وفي التراث النّقدي العربي مصطلحات تقرب من مصطلح التناص، مثل: (الاقتباس، التضمين، التلميح، الإشارة).

وفي الميدان النّقدي مثل: (السرقات، المعارضات، المناقضات)[2].

وذهب كثير من الباحثين إلى أن لهذه الظاهرة جذور في التراث العربي القديم من ذلك مثلا:

(1) لسان العرب: مادة (نصص): 4441/5.

(2) ينظر: النّص الغائب: 42.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الموازنة التي عقدها الآمدي بين الطائيين أبي تمام والبحتري، والوساطة بين المتنبي وخصومه عند الجرجاني تعدّان شكلا من أشكال التناص، فقول امرئ القيس[1]:

عوجـــا علـــى الطّلـــل المحيـــل نبكي الدّيار كما بكى ابن خذام

فامرؤ القيس يقرر بأنّه ليس أوّل من بكى وإن فعله هذا ما هو إلا تكرار لمن سبقه.

والاقتباس منه قول ابن الرّومي[2]:

تتجـــافى جنـــوبهم عـــن وطء المضـــاجع

والمعنى مُقتبس من قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضَاجِعِ﴾[3].

والسرقة في الشعر أنواع منها:

ما نقل معناه دون لفظه، أو من أخذ معنى بلفظه كما هو كالسلخ والاصطراف والاختلاب، والانتحال، والإغارة والمرادفة والاهتدام... إلخ[4].

يقول ابن رشيق:" واتّكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كلٌّ وعي سبق إليه جهل، ولكن المختار عندي أوسط الحالات"[5].

أمّا النّقاد العرب المحدثون فيرون أنّ هناك تقاربا ما بين مصطلح التناص وما ورد في التراث القديم من مصطلحات مثل: الاقتباس والتضمين والمعارضات.

(1) ديوان امرئ القيس: 281.
(2) ديوان ابن الرّومي: 262.
(3) السجدة: 16.
(4) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: 281/2.
(5) المصدر نفسه: 281/2.

**ثانيا: التّناص في الأدب الغربي**

بداياته الأولى كمصطلح نقدي ورد أثناء الحديث عن الدّراسات اللسانية يقول (تودروف):"النّص المعارض ليس استنساخا أو محاذاة للنّص المعارض، فثمّة تخالف وتفارق وثمّة إضافات وحدود"[1].

ويُعد (باختين) المحدّث لمفهوم التّناصية أو (الحوارية) فالنّص عنده بمثابة حلقة بين سابق ولاحق. فالنّص مرجعه نصوص سابقة كما يراه (ميشالريفاتير): " تعتمد النّصية بالأساس على التّناصية"[2]. وظهر مفهوم النص بشكلٍ واضح على يد الفرنسية ( جوليا كريستيفا ) واستبدلت مصطلح الحوارية بالتّناصية معتمدة على التحليل النّفسي، معتبرة إيّاه نوعا من الملازمة الجوهرية في ثقافتنا تقول: كلّ نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى.. ويقرأ الكلام الشعري على الأقل ككلام مضاعف[3].

ومن هنا أصبح التناص واسع الانتشار عند العديد من النّقاد الأوربيين والعرب.

والتناص نوعان:

1- مباشر: ويدخل تحته ما عرف في النقد القديم بالسرقة والاقتباس والتضمين والاستدعاء.

2- غير مباشر: وينضوي تحته التلميح والرمز والتلويح والإيماء والإشارة والمجاز ويسمى التناص اللاشعوري أو تناص الخفاء.

تقانات التّناص:

1- التّضخيم (التّوسع) Iamplification:

(1) القول الشعري، قراءة في الشعر العربي المعاصر: 224.

(2) ينظر: دراسات في تعدي النّص: 12.

(3) ينظر: دراسات في النّص والتّناصية: 92.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وفيه يقوم الكاتب، بإعطاء النّص أكثر من حجمه مع استنطاق كل ما فيه وكل ما ليس فيه[1].

2- التحرير Verbaliasation:

بمعنى التحرير الكتابي لما ليس كتابيا بالأصل، وينطبق على حالة التناص بين الأنواع أو الأجناس المختلفة ومثاله: (كلود سيمون) في روايته (معركة فارسال) حيث عمد إلى وصف لوحة وصياغة محتوياتها كتابيا.

3- الترصيع Enchassement:

وفيه يعمد الكاتب على ترصيع عناصر النّص القديم في نصه.

4- التشويش Paranomase:

وفيه يعمد الكاتب إلى أخذ فقرة من نصّ ما ويقوم بالتلاعب فيها، ومثال ذلك تحويل النّص من الفصحى إلى العامية[2]. حيث نُقلت العديد من الرّوايات من الفصحى إلى العامية.

5- الإضمار (القطع) Lellipse:

وفيه يمارس الكاتب الاقتباس المبتور، بحيث يتجه النّص لصوب آخر، لم يكن في توقّعات القارئ. ومثاله ما فعله (لوتريامون) في سيرة بطله (مالدور)، حيث بتر سيرة بطله خلافا لمعاصريه الذين يكتبون الصفحات لوصف ماضي أبطالهم.

6- المبالغة Lhyperble:

وتقوم على المبالغة في المعنى والمغالاة فيه وتعميق أثره الإيجابي.

(1) ينظر: التفاعل النّصي: 294.
(2) ينظر: أدونيس منتحلا: 53.

7- القلب أو العكس Linlerversion:

وهو الصيغة الشائعة في التناص وهو أنواع أربعة:

أ- قلب موقف العبارة أو أطرافها.

ب- قلب القيمة.

ت- قلب الوضع الدّرامي.

ث- قلب القيمة الرّمزية.

8- تغير مستوى المعنى:

نقل المعنى إلى صعيدٍ آخر.

9- القطع أو المونتاج:

وهو تحديد اللقطات المختارة واستبعاد غير المرغوب فيها.

**ثالثا: التّناص الأدبي ودلالته في شعر عبد الصّمد باكثير**

إن إبداع الشاعر يقف وراءه تراث ضخم من الشعر القديم، حيث إنه لا يمر بعصرٍ من العصور الأدبية منذ الجاهلي مرورا بالإسلامي والعباسي وعصر الدول المتابعة إلّا وأفاد منها، مكملا لسلسلة الإبداع الممتدة عبر الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر[1].

فمن خلال البحث في ديوان باكثير سنحاول الكشف عن صور التشاكل النّصي بين شعره وشعر من سبقوه، فالشعر نتاج لثقافة تمتزج وتتفاعل في ذهن المبدع، وسوف أحيل الشاعر باكثير للمتلقي سيجد مدى وقوفه على المأثور التراثي ومساهمته من خلال استدعاء النصوص القديمة في ابقائها حيّة،

(1) ينظر: التناص مع الشعر العربي: 27 – 28.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وهو في ذلك يستخدم صورا مختلفة من التناص كالامتصاص والتحويل والمحاورة، فباكثير وظّف أدوات الكتابة لديه ليعطي مدلولات فنية وجمالية جديدة.

والتوظيف " بمعنى استخدام معطيات اللغة استخداما فنيا إيحائيا، وتوظيفا رمزيا لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر بحيث يسقط الشاعر على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة، فتصبح هذه المعطيات معطيات تراثية معاصرة"[1].

وفيما يلي جملة من التناصات مع التراث الشعري التي وردت في ثنايا قصائد ديوان عبد الصّمد باكثير.

يقول باكثير مادحا عمر بن بدر[2]:

ما قال لا عند السؤال كأن لا محرمة لم يجر منه لها ذكرُ

فقوله مستقى من بيت الفرزدق لفظا ومعنى[3]:

ما قال: لا قطُّ، إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعمُ

فالتناص بيّن في قوله " ما قال لا " والبيت إجمالا يحمل نفس المعنى الذي قاله الفرزدق، والجامع بين ممدوحيهما أن كلا منهما عزيز عليه قول "لا" فلا يردان سائلا كأنها محرّم التلفظ بها عند باكثير في مدحه لممدوحه ومستثنى التلفظ بها عند الفرزدق حال تشهّد ممدوحه.

وفي قصيدة فائية مدح باكثير عمر بن بدر فوصفه بأنه ملجأ الوفود وكهف الضيوف وواهب الآلاف فقال [4]:

(1) توظيف التراث في شعرنا المعاصر: 202.
(2) ديوانه: 96.
(3) نفسه: 512.
(4)نفسه: 137.

يا مولعـــا بالصـــدّ والإخـــلاف متعمّـــداً بصـــدوده إتلافـــي
عمـر الـذي عـمّ الجهـات بعدلـه كهـف الضيوف الـواهب الآلاف
ملجـا الوفـود إذا النّـواحي أمحلـت لا زال في نعـم عليـه ضوافـي
هـشٌّ طليـق الوجـه غيـر معـبّسٍ قـد حـفّ بالتبجيـل و الإلطـاف

إلى أن قال:

ألفـتْ أناملـه العطـاء مضاعفـا حـتى دُعـي بالواهـب المتـلاف
مـا أمّـه ذو حاجـة مأمولـة إلّا ونال وفاز بالإسعـاف

فقوله:

ألفت أنامله العطاء مضاعفـا حتى دعي بالواهب المتـلاف

هو قول الحطيئة[1]:

هـو الواهـب الكـوم الصـفايا لجـاره وكـل عتيـق الحـرتين أسـيل [2]

فقـول باكثير "دعـي بالواهـب" هـو قـول الحطيئـة في مـدحٍ لـه لممدوحـه، فكلاهمـا يضـفيان على الممدوح على صفة الكرم المبالغ فيه في أحايين كثيرة.

بين باكثير وأبي تمّام:

أراد عبد الصّمد باكثير أن يضفي على ممدوحه صفة عظيمة في الكرم فقال[3]:

ألـذّ شـيءٍ إليـه بـذل نافلـه وما لـه في سـوى نيـل العـلا أرب

هذا المعنى تناوله من قبله الشاعر العباسي أبو تمّام حين قال[4]:

(1) ديوانه، رواية شرح ابن السكيت:144.
(2) الكوم: القطيع من الإبل الصفايا: الغزار
(3) ديوانه: 44.
(4) نفسه: 211.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ولـو لم يكـنْ في كفّـه غـيرُ روحـهِ  لجـاد بهـا فليتـق اللهَ سائلـهُ

فتعبير أبي تمام ولا شك أفضل، فالذي يجود بروحه ليس كمن يجود بما زاد عن حاجته من المال والروح في كل الأحوال أنفس وأغلى من المال، ولكن يمكن القول إن باكثير أتى بما شابه المعنى في قول أبي تمام وإن علا الأخير عليه معنىً وجمالا.

وفي قصيدته البائية حاكى وعارض باكثير أبا تمام لفظا وإيقاعا وقد حصل التناص في مواضع عدّة من القصيدتين غير أنّ باكثير يمدح عمر بن بدر، وأبو تمام يمدح المعتصم يقول باكثير[1]:

العـزم بالجـدّ لا بالهـزل واللعـب  والنصـر بالبِـيض والخطّيـة السّـلبِ
بقـدر عـزم أولي الآراء تُقتنص المعـالي  الشّـمِ مـن نـاءٍ ومقـترب

فقد أحال باكثير المتلقي إلى قول أبي تمّام في بائيته التي وصف بها عمّوريّة ومدح المعتصم الخليفة العباسي فقال[2]:

السيف أصـدق إنبـاءً مـن الكتـب  في حـدّه الحـدُّ بين الجدّ واللعـبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائـف  في متـونهنّ جـلاءُ الشّـك والـرّيب

فقد وقع التناص في البيت الأوّل بجامع الحديث عن السيف، فبه الفصل بين الحق والباطل، فالتناص بين "الجد واللعب" ولفظة "البيض" الواردة في كلا البيتين؛ بالإضافة إلى المقاربة بين الصور والمعاني والمناسبة والايقاع الدّاخلي والخارجي.

ومما قاله باكثير في هذه القصيدة[3]:

لـمّا تألّبـت الأحـزاب غـرّهم  خـداعُ أمنيـةٍ بالرّشـد لم تثـب

هذا المعنى ورد في قول أبي تمام في بائيته[1]:

(1) ديوانه: 38.
(2) ديوانه، شرح الخطيب التبريزي: 17.
(3) نفسه: 39، ومعنى تألبت: تجمعت.

أمانيـــا ســـلبتهم نجـــح هاجسهـــا ضبي السيوف وأطراف القنا السلب

فالتناص جلي في توظيف خداع الأماني للعدو وتغرير الأماني بهم. حيث قضت سيوف الممدوحين على تلك الأماني وقطع دابرها،

ومن ذلك قول باكثير[2]:

أتاهـم جعفـر المقـدام تحملـــــــه طمـرّة مـن عتـاق السـبق النّجـــب
كأنّـه ليـثٌ غـاب حـول أشبلـــــه في كفّـه قـاطعُ الحـدّين ذو شطـــب
والنّصـرُ يصـحبه في كـلّ معتـــركٍ عند اختلاف القنا في المأزق اللـزب

ويظهر التّناص بينه وبين أبي تمام حين قال[3]:

والمعظـم النّصـر لم تكهـــم أسـنته يومـاً ولا حجبت عـــن روح محتجب
لم يغـزُ قومـاً ولم يـنهض إلى بلـــدٍ إلا تقدّمـــه جـيش مـــن الـــرعـــب
لـو لم يقـدْ جحفـلا يـوم الـوغى لغـدا من نفسـه وحدها في جحفـــلٍ لجب

فـالتعبير عـن معنى الخـوف المقـذوف في قلـوب الأعـداء لمجرّد السّـماع بقـدوم الممـدوح يهـزّ ويّحبط معنوياتهم، فهما المؤيدان بالنّصر أينما توجّهت جحافلهم.

هذا المعنى تناوله كلٌّ من أبي تمام ولاحقا له باكثير مع اختلاف الممدوحين وتشابه المناسبتين إلى حدٍّ ما.

وقول باكثير[4]:

(1) ديوانه: 21.
(2) نفسه: 39، الطمرة: مؤنث الطمر وهو الفرس الجواد.
(3) نفسه: 20.
(4) نفسه: 39.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الطعن والضرب في الأبطال تحسبه نارا قد اشتعلتْ في أخضر الحطب

هو استدعاء لقول أبي تمام[1]:

لقد تركت أمير المؤمنين بها للنار يوما ذليل الصّخر والخشب

وقول باكثير[2]:

من كل ذي نسب في الرّوع مهجته للفخر والمجد لا للنفل والنشب

هو قول أبي تمام[3]:

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

فالقصيدة على الرغم من متابعة باكثير واتّفاقه مع أبي تمام في قصيدته السيف أصدق... من حيث الرّوي والبحر والقافية كذا المعنى العام إلاّ إنّك تجد حيوية متدفقة وسبكاً محكماً ومعاني جميلةً أجاد فيها باكثير وأبدع.

وفي موطنٍ آخر يقول باكثير في رائيةٍ له يمدح عمر بن بدر[4]:

له هيبة ملء القلوب، وصولة تشق قلوب الدّارعين من الذعر

والمعنى استوحاه من قول أبي تمام[5]:

لم يغزُ قوماً ولم ينهض إلى بلد إلاّ تقدّمه جيش من الرعب

فالتناص موجود في المقاربة ما بين الصور والمعاني، فالرّعب يتقدم جيشي الممدوحَين، فيخير قوى الأعداء، فيسهل من بعد ذلك النّصر.

(1) ديوانه: 19.
(2) ديوانه: 39.
(3) ديوانه، شرح التبريزي: 66.
(4) ديوانه: 107.
(5) ديوانه، شرح التبريزي: 59.

لقد وطّد عبد الصّمد باكثير علاقته بالتّراث الشعري السّابق له، فهو يشابه حيناً أبا تمام، وحيناً يقرب في أسلوبه من البحتري في سلاسة تعبيره وروعة تقسيمه البديعي وعدم تكلّفه وفي تصريفه وتجنيسه وصفاته وتشبيهاته.

يقول باكثير مادحاً عبد الله بن عمر بن بدر من قصيدة بدأها بالمطلع الآتي[1]:

عـذولي دع التفنيـدَ واللـومَ والعـذلا فـإنْ تـره عـذلا فلـم أره عـــــدلا

إلى أن قال:

أعـزُّهم جـارا وأمـنعهم حمـــــى وأطـولُهم باعـا وأشـرفُهم أصـــــلا

وأرفعهـم قـدرا وأكـرمهم يـــــدا وأصـدقهم قـولا وأوفـاهم فعـــــلا

وأكثـرهم جـودا وأغـزرهم نـــدىً وأوسـعهم حلمـا وأرجحهـم عقـلا

وأسـبقهم مجـدا إلى كـل غايـــــة وأوسـعهم عطفـا وأوفـاهم خـــــلا

وأقـرّبهم عفـواً وأبعـدهم مـــــدى وأبلـغ مـن خـطّ البيـان ومـن أمـــلى

وأثبـتهم مجـدا وأسمعهـم نـــــداً وأبدر مهما أشكل الأمر من حـــلا

وأكـرم مـن تحـدو المطـايا لسُّـوحه تشقُّ على بعد المدى الحَزْن والسّهلا

ومن مدحه لعبد الله بن عمر يقول[2]:

سـلطاننا الصّمصـام عبـد الله مـــن شـاد المعـالي فـوق هـام الفرقـــد

الأروع الملـك السّـعيد مؤيّـد الـــ ـرأي السّديد أخو الذّكا المتوقّـد

جبلـت طويتـه علـى بـذل اللهـــى وسمـا إلى أسمـى المحـل الأسعـــد

ملـك يعـدّ الحمـد أسـنى مقتنـــى ويرى العلا تشتيت شمل العسجـد

(1) ديوانه: 210.

(2) نفسه: 72.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

هذه الإجادة والروعة في المعاني وطريقة التقسيم بما يخدم إيقاع النّص وجمالية الأسلوب عند باكثير فيما سبق لا تقل عما جاء به البحتري حين قال[1]:

بداني بمعروفٍ هو الغيث في الثّرى تـولّى نـداه واسـتنارت خمائلـــه
أمنت به الدّهر الذي كنت أتقـي ونلت به القدر الذي كنت آمله

وقول البحتري أيضا [2]:

لهـى سـودته دون قـوم ولم يـدع جـواد الرّجـال أن يسـود بخيلهـا
ولـو سـبقت الـدّنيا إليـه بأسرهـا ولم يتلهـا حمـد يعـاف قبولهـا

والتناص حاضر في ما رامه كلا الشاعرين من مدح ووصف للمدوحين، فعبد الصمد يغدق على ممدوحه حبه للضيافة وبذل المعروف الذي يرفع من ذكر صاحبه، بل إن ممدوحه يعد ذلك أفضل مقتنى ويفضله على العسجد – الذهب – وأن لا علا للملك إلّا بتوزيع وتشتيت ما حوته خزائن الملك من ذهب وفضة وغيرهما. والمعنى ذاته قد سبقه إليه البحتري، فيرى في ممدوحه الأمن والأمان من الفقر والعوز والحاجة، ولكرم ممدوحه فقد نال ما يتمنى وقد أمّل.

وقول باكثير[3]:

ألفـت أنامله العطـاء مضاعفـا حـتى دعـي بالـواهب المـتلاف

يذكرنا بقول البحتري[4]:

إلى مسـرفٍ في الجـود لـو أنّ حاتمـا لديـه لأمسـى حـاتم وهـو عاذلـه

(1) ديوانه: 163.
(2) نفسه: 198.
(3) نفسه: 137.
(4) البحتري، ديوانه: 3/ 1613.

فباكثير أضفى على ممدوحه عادة العطاء حتى صارت سمة من سماته الأمر الذي ألصق به لقب المتلف، فالتناص في شراكة وترادف معنى اللفظة في الإتلاف والإسراف، غير أن البحتري فاق باكثير في مدحه إذ جعل من حاتم – رمز الكرم عند العرب – لو أدركه للامه.

ومن غرر قصائد باكثير المدحي قصيدة مطلعها [1]:

أطلـــع نضـــيد ذا المقبـــــل أم در أم الأقحوانا لغض فاح لـه نشر[2]

حتى قال متخلصًا:

صـفاتك لا يحـوي نظـامي أقـــلها كجود ابن بدر لا يرام له حصر
إذا نابـني خطـب الزمـان فـــإنني إلى عمـر الخـيرات بي ينتهـي السفـر
مواهبـــه موصـــولة بمواهـــــب إذا ضـنّت الأنـواء واحتـبس القطـر
إلى جـوده تحـدي الركائـب في الفـلا يقلقلهـا الإرقـال في البيـد والزّجـر[3]
إليـه انـبرت حـتى طـوت كـل فدفـد تساوى لديها حندس الليل والفجـر[4]
إلى ماجـد لم يمنـع الوفـد رفـده ولا كفـه جعـد ولا جـوده نـزر[5]
حـوى الفخـر والتمجيـد والعـز كلـه فصـار إليـه ينتمـي العـز والفخـر
وأنفـس ذخـر عنـده بـذل مالـه إذا غـيره كنـز الكنـوز لـه ذخـر
ومـا قـال لا عنـد السـؤال كـأنّ لا محرمـة لم يجـر منـه لهـا ذكـر

كل بيت في القصيدة مطرب يشدّ القارئ إلى ما بعده في تناسق جميل، كرر بأسلوب مختلف مدحه لابن بدر، فهو الواهب والماجد إليه تسعى الوفود وتجوب الفدافد النوق والجمال البزّل ليلا

(1) ديوانه: 95.
(2) الأقحوان: هو البابونج، وهي زهرة معروفة كثيرة النّفع.
(3) التقلقل: التحرك والإرقال: سرعة المشي.
(4) الفدافد: الارض الواسعة. حندس الليل: ظلمته.
(5) جعد: قصير الأصابع، كناية عن البخل

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ونهارا راجية عطاياه التي ليست محصورة على صنف من الناس فييأس من نيلها الفقير ولا هي بالنزر فيرغب عنها الغني، فهو العز نفسه، بل العز والفخر يمد له بصلة، فما ردّ سائلا وما قال في غير شهده لا. إن هذا الإطراب والإمتاع يذهب بك إلى ما قاله من قبل البحتري [1]:

متى وترتني النائبات فجودهم مد يلي من أحداثها ومفيدي
مواهب ما تنفك تصدر بالغنى وفودا من العافين بعد وفود

يقول باكثير[2]:

أوفاهم ذمماً أسناهم همما أنداهم كرما أزكاهم حسبا
الضّيغم الأروع الصّمصام خير فتى يرى كرام المساعي خير ما اكتسبا

هذا التقسيم عند باكثير أقرب ما يكون إلى تقسيم البحتري في قوله[3]:

يشيد المجد قوم أنت أقربهم نبلا وأبعدهم في سؤدد أبدا
وما رأيناك إلا بانيا شرفا أو فاعلا حسنا أو قائلا سددا

فقول باكثير مثلا [4]:

رفيع العلى من لا يزال بنانه يجود كهتّان الغيوث الهوامع

كأنّك تقرأ للبحتري [5]:

هو الغيث ينهل في صوبه سجال ويعذب في ورده

يقول عبد الصّمد باكثير مادحاً علي بن بدر الكثيري[1]:

تناءى الكرى عني وعزّ التّصبّر وحتماً على من كابد البينَ يصبر

---

(1) ديوانه: 181.
(2) نفسه: 47.
(3) ديوانه: 2/ 718.
(4) ديوانه: 129.
(5) نفسه: 89.
(1) نفسه: 88.

وإن خفت من جور الزّمان فيممي إلى بلدٍ فيها علي المظفّر
عنده تلقى الوفود مرامها طليق المحيا بالنّوال مبشِّر
حكى جوده فيض السحاب وإنّه لأغدق من وبل الغمام وأغمر
زعيم بإكرام الضيوف إذا سطا من الدهر خطب أزلم متنكّر[1]

هذه المعاني في جدّتها وطرافتها وروعتها أشبه بمعاني المتنبي القائل[2]:

إلى ليث حربٍ يلجم الليث سيفه وبحر ندى في موجه يغرق البحر
تباعد ما بين السحاب وبينه فنائلها قطر ونائله غمر

يحكي باكثير عن ممدوحه أن كرمه حاكى وشابه فيض السحاب، واستدرك فقال: بل أفضل من نول السحاب وأغمر، هو الأجدى بضيافة المعوزين إذا خطب شديد ومجاعة عمت لا سبق للناس بها، هذا المعنى تناصّ فيه مع المتنبي الذي يصف ممدوحه بأنه البحر في عطاياه وأن لا مجال للمقارنة ما بين كرمه وما تتكرّم به السحب من العطاء.

يقول باكثير مادحاً عبد الله بن عمر الكثيري[3]:

جاد الربوع من الوسمي هطّال يحيي به الشيح والقيصوم والغال

إلى أن قال:

هذا الذي كفّه كالغيث راحتها نوالها أبدا في الناس هطّال
يجود قبل سؤال السّائلين له حتى كأن لديه المال أنفال

وفي هذا المعنى يقول المتنبي [1]:

(1) الأزلم: القاطع المستأصل
(2) ديوانه: 63.
(3) نفسه: 174
(1) نفسه: 15.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

يعطيـــك مبتـــدراً فـــإن أعجلتـــــه أعطـاك معتـذراً كمـن قـد أجرمـا

ولم يكن باكثير بدعاً من الشعراء الذين اتخذوا من المبالغة في الوصف والتكرار طريقاً ينفذون من خلاله للحذوة بمكانة لدى الممدوح، فقد سبقه في ذلك كبار الشعراء من قبله فهذا المتنبي مثلاً يقول مادحا[1]:

فيـــا بحـــر البحـــــور ولا أواري ويا ملـك الملـوك ولا أحـــــاشي

مبالغة تعافها النفس ويمجها الذّوق السليم، ولكن تجد بين ثنايا القصيدة الواحدة على ما فيها من إسفاف مواضع يجيد فيها الشاعر إجادة رائعة بميزان الشعر من ذلك قول عبد الصّمد في القصيدة السابقة نفسها قوله[2]:

كـــرم غريـــزي ورفعـــة همّـــــة قـذفت بـه نحـو المقـام الأفضـــل
بـذل اللجـين أحـبُّ شـيءٍ عنـده فيجـــود مبتـــدئا إذا لم يُســـأل

ويكثر باكثير في قصائده من استخدامه للتقسيم والتجنيس والتصريع فمن ذلك قوله[3]:

صـــبّ تـــذكّر أيام الصّـــبا فصبـــا وحـنّ لمـا كـواه الوجـد وانتحبـــا

إلى أن قال:

أوفـــاهم ذمـــاً أســـناهم همـــــا أنـداهم كرمـا أزكـاهم حســـبـــا
الضّيغم الأروع الصّمصام خير فتـى يرى كرام المساعي خير ما اكتسبا

تقسيم بديعي يحمل الروعة والإجادة والتجانس والارتباط فالوفاء للذمم والارتفاع للهمم والندى للكرم وأزكاهم حسبا.

يقول المتنبي في هذا المعنى[1]:

(1) ديوانه: 243.
(2) نفسه: 183.
(3) نفسه: 47.

ولحظت أنمله فسلن مواهبا ولمست منصله فسال نفوسا
يا من نلوذ من الزّمان بظله أبدا ونطرد باسمه إبليسا

ولعبد الصّمد باكثير هذه القصيدة التي تسيل رقّة، وتزخر بالمعاني يمدح بها عمر بن بدر:

شاهد جمال المحيا غاية الأمل واغنم زمان الرضى بالأنس والجذل

يقول[2]:

نيطت بسؤدده بيض الفعائل من جود وحلم وإقدام بلا فشل
أفديه من ملك أجرى النّدى كرما واختاره ملّة من أكرم الملل
عالي الجناب طويل الباع في شرف سامٍ رحيب الغنا بالوفد والنُّزَل
بسوحه يمم العافون حاجتهم فهم على ثقة من مبلغ الأمل
أما تراهم أتوا من كل ناحية يحثحثون كرام الخيل والإبل

فقوله جود وحلم وإقدام بلا فشل من أبلغ الاحتراسات فهو يحترس من الإقدام القاتل كما قال المتنبي[3]:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتّال

فباكثير احترس فقال، وإقدام بلا فشل. وقول باكثير[4]:

بسوحه يمم العافون حاجتهم فهم على ثقة من مبلغ الأمل

(1) ديوانه: 46.
(2) نفسه: 185.الرعديد: الجبان.
(3) نفسه: 490.
(4) نفسه: ص185.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

معنى رائع وعذب ناسبت الألفاظ المعاني المرجوة فالثقة دفعت الوفود إلى أن تفد إلى ابن بدر متجشّمة الفلوات والسباسب تذيب ظهور البزّل العظيمة وتخلط الليل بالنهار حتى أناخوها ببحبوح السماح وينبوع النجاح وملجأ الخائف الوجل.

وباكثير كما سبق أن حدّثت في هذا اللون من الشعر يدخل مباشرة إلى صلب الموضوع المراد شأنه في ذلك شأن الشعراء الكبار فالمتنبي مثلا يقول من قصيدة له[1]:

أعلا الممالك ما يبنى على الأسل ... والطعن عند محبيهنَّ كالقبل[2]
ومنتقر سيوف في ممالكها ... حتى تقلقل دهرا قبل في القلل[3]
الباعث الجيش قد نالت عجاجته ... ضوء النهار فصار الصبح كالطفل[4]
الجو أضيق ما لاقاه ساطعها ... ومقلة الشمس فيها أخير المقل

وعبد الصّمد باكثير يقول في هذا المعنى[5]:

جيش تغص به البيداء ويشرق من ... غبار الجو من وفد ومن خبب
البر يرجف من ثقل الجيوش به ... والبحر قد ضاق بالغربان في الغبب

ويقول من قصيدة أخرى[6]:

بين الأبيرق والنّقا من حاجر ... منشا صباباتي، وطيب مسامري

إن من أسباب النصر بعد التوكل على الله الثبات في المعركة المنبعث من الروح المعنوية العالية لدى الممدوح فيقول باكثير[7]:

---

(1) ديوانه: 274.
(2) الأسل: الرماح
(3) القلل: الرؤوس
(4) الطفل: آخر النهار
(5) ديوانه: 39
(6) نفسه: 83.
(7) نفسه: 84.

ثبت الجنان إذا الرماح تشاجـرت بالطعن بين قساور وقســـــاور

إن الثبات في المعركة وعدم التراجع يدلان على أن الخصم في المعركة ليس ضعيفا بل هو في مقام الند لذا فالحرب بين قساور وقساور يقول من قصيدة له[1]:

إذا مـا التقـى الجمعـان يـوم كريهـة وشبّت لظى الهيجاء بالبيض والسمر
وأسـد الشّرى لاقـت أسـودا خفيـة على سبّق مثل السّعالي بهم تجـري[2]
هنالـــك يبـــدو باسمـــا متهلـــلا يخب بـه عبـل الشـوى واسـع النحـر
قصير القرا عـاري الطنابيب خرشـع عليـه فـتى ثبـت الجنـان بـلا كبـر[3]
تـراه أمـام الجيش ليثا غشمشمـــا مجـدل أبطـال الفـوارس في القفـــر
لـه هيبـة مـلء القلـوب، وصولـــة تشـق قلـوب الـدارعين مـن الذعـــر
ومـا صـال إلا نال صـيتا ممدحـــا وسـاعده التأيـيد بالفـتح، والنصـــر

لقد جعل عبد الصّمد الثبات من عوامل النّصر فالممدوح يلقى الأعداء مبتسماً متهللاً على خيلٍ واسع النحر سريع له في المعركة هيبة تملأ قلوب أعدائه فتتساقط هامات كبارهم وتفر أخرى من الذّعر فهو المؤيد من الله يصحبه التأييد والنصر أينما توجّه، فممدوح باكثير مصدر للشجاعة تقاس به الأبطال ويشبّهون به يقول:

تقاس بك الأبطال، وأنت فيهـــم كما قالت الخنساء في صنوها صخر

يقول المتنبي[4]:

تمر بك الأبطال كلمى هزيمـــة ووجهـك وضّـاح وثغـرك باســـم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهـى إلى قول قوم أنت بالغيب عالـم

يقول باكثير[1]:

(1) ديوانه: 106.
(2) السعالى: الواحدة سعلاء: ساحرة الجن.
(3) خرشع: الخرشعة: قنة صغيرة من الجبل، والقرا: الظهر.
(4) ديوانه: 387.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

لـه هيبـة مـلء القلـوب، وصولـــة تشق قلوب الدارعين من الذعــر

وهو قول البحتري[2]:

إذا ما أخ جر الرماح انبرى لـه أخ لا بليـد في الطعـان ولا وغـــل
تخثهم البيض الرقاق وضمـــر عتـاق وأحسـاب بهـا يـدرك التبـــل
وما الموت إلا أن تشاهد ساعة فوارسـهم في مـآزق وهـم رجـــل
بطعن يكب الدّارعين دراكـه وضـرب كمـا ترغـو المخزمـة البـزل

إن المتأمل في شعر عبد الصّمد يتبادر إلى ذهنه شعر السابقين الذين ذكرت منهم، فقد سار على نهجهم وأخذ عنهم فجاورهم وكأنّما عاش عصرهم فالمعاني تقرب من المعاني والألفاظ في قوتها وجمالها وروعتها هي ألفاظ الشعراء السابقين له جزالةً وقوّةً تأتي متناسبة مع ما يريده من معاني.

**الخاتمة والتوصيات:**

في نهاية هذا البحث رأى الباحث تسجيل أبرز ما يمكن إجماله في الآتي:

1- لم يحظ ديوان عبد الصمد باكثير بمثل هذه الدراسة التناصية من قبل.

2- الديوان غني بما احتوى عليه من أشعار تصلح أن يُفرد بدراسة في التناص لمساق الماجستير أو الدكتوراه.

3- ديوان عبد الصمّد باكثير مثّل مرحلته الزمنية من حيث حال الشعر والأدب عموما في تلك الحقبة القرن العاشر والحادي عشر إذْ قال شعرا في أغراض العصر التقليدية من مدح وغزل ورثاء ... والأغراض التي اختص به عصره من مديح ومعارضات وموشّحات وألغاز وشعر التّضمين والتأريخ الشعري ... الخ.

---

(1) **ديوانه: 107.**

(2) **نفسه: 164.**

4- وجد الباحث في شعر عبد الصمد التقليدي بيانا في لغته وفصاحة، وقوة في اللفظ وجزالة، وعزاه إلى البعد الجغرافي لموطنه حضرموت.

5- وقف الباحث على بعض مواطن التوافق والتناص مع أبرز الشعراء وهم: أبو تمام والبحتري والمتنبي، مه إمكان تطوير البحث ليشمل آخرين من كل العصور السّابقة له.

6- وجد الباحث قربا جماليا في عددٍ من أبيات عبد الصمد يفوق في أحايين من جمالية أبيات من سبقوه.

7- تنوع موضوعات وأغراض شعر عبد الصّمد دلّ على سعة علمه واطّلاعه ومعرفته بشعر من سبقوه.

8- كون عبد الصّمد كان شاعر السلطان عمر بن بدر ولسان حاله؛ عزّز ذلك من مشابهته لشعر المتنبي وأبي تمام على وجه الخصوص سيما في المدح.

9- يأمل الباحث من طلاب الدّراسات العليا والباحثين التدقيق والنظر في كتب التراجم عن أسماء الشعراء المغمورين، فلا يزال الكثير لم تحظ دواوينهم بدراسات أكاديمية منهجبة.

**التوصيات:**

- أوصي الباحثين بتناول شعر شعراء بيئاتهم، فهم أولى بالدراسة الأكاديمية المنهجة.

- إجلاء الصدأ عن التراث الشعري القديم فلا زال مليئا بكل ما هو فريد وطريف.

- بوصلة عناوين الرسائل في الماجستير والدكتوراه نحو ما تم تأليفه من كتب ودواوين إبان الغزو التتري للعالم الإسلامي إلى بدايات عصر النهضة.

- عدم الاكتفاء بتحقيق الدواوين المخطوطة، بل يجب إتباعها بدراسات تحليلية وفنية وأسلوبية وتناصية، وهلم جرا.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

## المصادر والمراجع:

ديوان عبد الصّمد باكثير، تحقيق: أحمد بايمين، رسالة ماجستير، جامعة عدن، إبريل – 2004م.

ابن الرّومي، ديوانه، تحقيق: عبد القادر المازني.

ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت.

ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، د. ت.

أبو تمام، ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق مُحَمَّد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط5.

الأحمد، نهلة، التفاعل النّصي، مجلة كتاب الرياض، د. ط، مؤسسة اليمامة الصحفية، عدد 104، 2002م.

امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق حنا الفاخوري، ط1، دار الجيل، بيروت 1409هـ – 1989م.

باكثير، مُحَمَّد بن مُحَمَّد، البنان المشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثير، تحقيق: عبد الله بن مُحَمَّد الحبشي، د ت.ط.

البحتري، ديوانه، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1300هـ.

البقاعي، مُحَمَّد خير، دراسات في النّص والتّناصية، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998م.

الحطيئة، ديوانه، رواية وشرح ابن السكيت ( 186 – 246هـ )، دراسة وتبويب د. مفيد مُحَمَّد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ - 1993م.

حمادة، حسن مُحَمَّد، تداخل النصوص في الرواية العربية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.

الخشّاب، وليد، دراسات في تعدي النّص، د. ط، المجلس الأعلى للثقافة.

طبانة، بدوي، السرقات الأدبية، ط2، مكتبة الأنجلو، القاهرة – 1969م.

عبد الله الغذامي، تشريح النص، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006م.

عزام، مُحَمَّد، النّص الغائب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

عيد، رجاء، القول الشعري، قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية.

الفرزدق، ديوانه، شرح وضبط وتقديم الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1407 هـ -1987م.

كرستيفا، جوليا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1991م.

المتنبي، ديوانه، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، مكتبة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986م.

مفتاح، مُحَمَّد، تحليل الخطاب الشعري، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م.

**الدوريات والمجلات:**

زايد، علي عشري، توظيف التراث في شعرنا المعاصر، مجلة فصول، 1980م.

عبد الواحد لؤلؤة، التناص مع الشعر العربي، مجلة الأقلام، ع1، ديسمبر، 1994م.

**الرسائل العلمية:**

دعكون، تهاني حاج، التّناصُّ في شِعرِ ابنِ هُتَيْملٍ، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت، كلية التربية م/ المهرة 2021م.

القرشي، هناء فلحان، الاقتباس والتضمين في شعر ابن درّاج القسطلي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435هـ.